الصباح الإسلامية
09
العدد 1856 - السنة السابعة
الخميس 9 رجب 1435 - الموافق 8 مايو 2014
Thursday 8 May 2014 - No.1856 - 7th Year

من الأحاديث القدسية

يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فسلوني الهدى أهدكم

حدثنا هناد حدثنا أبوالأحوص عن ليث عن شهر بن حوشب عن عبدالرحمن بن غنم عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ يقول الله تعالى: يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فسلوني الهدى أهدكم وكلكم فقير إلا من أغنيت فسلوني أرزقكم وكلكم مذنب إلا من عافيت فمن علم منكم أني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني غفرت له ولا أبالي ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أتقى قلب عبد من عبادي ما زاد ذلك في ملكي جناح بعوضة ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أشقى قلب عبد من عبادي ما نقص ذلك من ملكي جناح بعوضة ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا في صعيد واحد فسأل كل إنسان منكم ما بلغت أمنيته فأعطيت كل سائل منكم ما سال ما نقص ذلك من ملكي إلا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه إبرة ثم رفعها إليه ذلك بأني جواد ماجد أفعل ما أريد عطائي كلام وعذابي كلام إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون قال هذا حديث حسن وروى بعضهم هذا الحديث عن شهر بن حوشب عن معدي كرب عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي

قوله: «يا عبادي» قال الطيبي: الخطاب للثقلين لتعاقب التقوى والفجور فيهما، ويحتمل أن يعم الملائكة فيكون ذكرهم مدرجًا في الجن لشمول الإجتنان لهم وتوجه هذا الخطاب لا يتوقف على صدور الفجور ولا على إمكانه انتهى . قلت : والظاهر هو الاحتمال الأول «إلا من هديت» قيل المراد به وصفهم بما كانوا عليه قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لا أنهم خلقوا في الضلالة. والأظهر أن يراد أنهم لو تركوا بما في طباعهم لضلوا، وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام: إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره. وهو لا ينافي قوله عليه الصلاة والسلام: «كل مولود يولد على الفطرة»، فإن المراد بالفطرة التوحيد والمراد بالضلالة جهالة تفصيل أحكام الإيمان وحدود الإسلام ومنه قوله تعالى: «ووجدك ضالًا» «وكلكم مذنب» قيل أي كلكم يتصور منه الذنب «إلا من عافيت» أي من الأنبياء والأولياء، أي عصمت وحفظت، وإنما قال عافيت تنبيهًا على أن الذنب مرض ذاتي، وصحته عصمة الله تعالى وحفظه منه أو كلكم مذنب بالفعل . وذنب كل بحسب مقامه إلا من عافيته بالمغفرة والرحمة والتوبة «ولا أبالي» أي لا أكترث «ولو أن أولكم وآخركم» يراد به الإحاطة والشمول «وحيكم وميتكم» تأكيد لإرادة الاستيعاب كقوله «ورطبكم ويابسكم» أي شبابكم وشيوخكم أو عالمكم وجاهلكم أو مطيعكم وعاصيكم. قال الطيبي هما عبارتان عن الاستيعاب التام كما في قوله تعالى «ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين» والإضافة إلى ضمير المخاطبين تقتضي أن يكون الاستيعاب في نوع الإنسان فيكون تأكيدًا للشمول بعد تأكيد الاستيعاب وتقريرًا بعد تقرير انتهى «اجتمعوا على أتقى قلب عبد من عبادي» وهو نبينا صلى الله عليه وسلم «ما زاد ذلك» أي الإجتماع «اجتمعوا على أشقى قلب عبد من عبادي» وهو إبليس اللعين. «اجتمعوا في صعيد واحد» أي أرض واسعة مستوية «ما بلغت أمنيته» بضم الهمزة وكسر النون وتشديد الياء، أي مشتهاه وجمعها المنى والأماني، يعني كل حاجة تخطر بباله «ما نقص ذلك» أي الإعطاء أو قضاء حوائجهم «فغمس» بفتح الميم أي أدخل «إبرة» بكسر الهمزة وسكون الموحدة وهي المخيط «ذلك» أي عدم نقص ذلك من ملكي «بأني جواد» أي كثير الجود «واجد» هو الذي يجد ما يطلبه ويريده وهو الواجد المطلق لا يفوته شيء «ماجد» هو بمعنى المجيد، كالعالم بمعنى العليم من المجد وهو سعة الكرم «إنما أمري لشيء إذا أردت أن أقول له كن فيكون» بالرفع والنصب، أي من غير تأخير عن أمري. وهذا تفسير لقوله: «عطائي كلام وعذابي كلام». قال القاضي يعني ما أريد إيصاله إلى عبد من عطاء أو عذاب لا أفتقر إلى كد ومزاولة عمل بل يكفي لحصوله ووصوله تعلق الإرادة به وكن من كان التامة أي أحدث فيحدث. حديث حسن - وأخرجه أحمد وابن ماجة.

وقفات وتأملات حول حادثة الإفك

رمى النبي (صلى الله عليه وسلم) في كل شيء حين رمي في عائشة - رضي الله عنها - يرمي في فراشه وعرضه، وقلبه ورسالته. يرمى في كل ما يعتز به عربي، وكل ما يعتز به نبي.. ها هو ذا يرمى في هذا كله، ويتحدث الناس به في المدينة شهرا كاملا، فلا يملك أن يضع لهذا كله حدا والله يريد لحكمة يراها أن يدع هذا الأمر شهرا كاملا لا يبين فيه بيانا، ومحمد الإنسان يعاني ما يعانيه الإنسان في هذا الموقف الأليم. يعاني من العار، ويعاني فجيعة القلب، ويعاني فوق ذلك الوحشة المؤرقة الوحشة من نور الله الذي اعتاد أن ينير له الطريق.. والشك يعمل في قلبه - مع وجود القرائن الكثيرة على براءة أهله، ولكنه لا يطمئن نهائيا إلى هذه القرائن - والغربة تفوح في المدينة، وقلبه الإنساني المحب لزوجته الصغيرة يتعذب بالشك، فلا يملك أن يطرد الشك لأنه في النهاية بشر، يتفاعل في هذا التفاعلات البشر. وزوج لا يطيق أن يمس فراشه، ورجل تتضخم بذرة الشك في قلبه متى استقرت، ويصعب عليه اقتلاعها دون دليل حاسم. وها هو ذا يثقل عليه العبء وحده. فيبعث إلى أسامة بن زيد حبه القريب إلى قلبه.. ويبعث إلى علي ابن أبي طالب. ابن عمه وسنده، يستشيرهما في خاصة أمره، فأما علي فهو من عصب محمد، وهو شديد الحساسية بالموقف لهذا السبب. ثم هو شديد الحساسية بالألم والقلق اللذين يعتصران قلب محمد، ابن عمه وكافله. فهو يشير بأن الله لم يضيق عليه، ويشير مع هذا بالتثبت من الجارية ليطمئن قلب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويستقر على قرار. وأما أسامة فيدرك ما يقلب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الود لأهله، والتعب لخاطر الفراق، فيشير بما يعلمه من طهارة أم المؤمنين، وكذب المفترين الأفاكين.

ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) في لهفة الإنسان، وفي قلق الإنسان، يستمد من حديث أسامة، ومن شهادة الجارية المتوحيد وقوة يواجه بهما القوم في المسجد، فيستعذر ممن نالوا عرضه، ورموا أهله، ورموا رجلا من فضلاء المسلمين لا يعلم أحد عليه من سوء.. فيقع بين الأوس والخزرج ما يقع من تشاحن وهم في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وفي حضرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويدل هذا على الجو الذي كان يظلل الجماعة المسلمة في هذه الفترة الغريبة، وقد خدشت قداسة القيادة، ويحز هذا في نفس الرسول (صلى الله عليه وسلم) والنور الذي اعتاد أن يسعفه لا يثير له الطريق؟ فإذا هو يذهب إلى عائشة نفسها يصارحها بما يقول الناس، ويطلب منها هي البيان الشافي المريح! وعندما تصل الآلام إلى ذروتها على هذا النحو يتعطف عليه ربه، فينزل القرآن ببراءة عائشة الصديقة الطاهرة، وبراءة بيت النبوة الطيب الرفيع، ويكشف المنافقين الذين حاكوا هذا الإفك، ويرسم الطريق المستقيم للجماعة المسلمة في مواجهة مثل هذا الشأن العظيم.

ولقد قالت عائشة عن هذا القرآن الذي نزل: «وأنا والله أعلم حينئذ أني بريئة، وأن الله تعالى مبرئي ببراءتي. ولكني والله ما كنت أظن أن ينزل الله تعالى في شأني وحيا يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى. ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في النوم رؤيا يبرئني الله تعالى بها».

ولكن الأمر - كما يبدو من ذلك الاستعراض - لم يكن أمر عائشة - رضي الله عنها - ولا قاصرا على شخصها. فلقد تجاوزها إلى شخص الرسول (صلى الله عليه وسلم) ووظيفته في الجماعة يومها. بل تجاوزه إلى صلته بربه ورسالته كلها. وما كان حديث الإفك رمية لعائشة وحدها، إنما كان رمية للعقيدة في شخص نبيها وبانيها.. من أجل ذلك أنزل الله القرآن ليفصل في القضية المبتدعة، ويرد المكيدة المدبرة، ويتولى المعركة الدائرة ضد الإسلام ورسول الإسلام، ويكشف عن الحكمة العليا وراء ذلك كله، وما يعلمها إلا الله:

دار الأرقم مقر القيادة ومركز الدعوة الإسلامية

تذكر كتب السيرة أن اتخاذ دار الأرقم مقراً لقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم كان بعد المواجهة الأولى، التي برز فيها سعد بن أبي وقاص. قال ابن إسحاق: «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا في الشعاب، فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليه نفر من المشركين وهم يصلون، فناكروهم، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلحي بعير فشجه، فكان أول دم أريق في الإسلام» ().

أصبحت دار الأرقم السرية مركزاً جديداً للدعوة يتجمع فيه المسلمون، ويتلقون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل جديد من الوحي، ويستمعون له - عليه الصلاة والسلام- وهو يذكرهم بالله، ويتلو عليهم القرآن، ويضعون بين يديه كل ما في نفوسهم وواقعهم قريبهم، عليه الصلاة والسلام على عينه. كما تربى هو على عين الله عز وجل، وأصبح هذا الجمع هو قرة عين النبي صلى الله عليه وسلم ().

رابعا: أهم خصائص الجماعة الأولى التي تربت على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

كانت الجماعة الأولى التي تربت على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد برزت فيها خصائص مهمة جعلتها تتقدم بخطوات رصينة نحو صياغة الشخصية المسلمة، التي تقيم الدولة المؤمنة، وتصنع الحضارة الرائعة، فمن أبرز هذه الخصائص:

1 - الاستجابة الكاملة للوحي، وعدم التقديم بين يديه:

إن العلم والفقه الصحيح الكامل في العقائد والشرائع، والآداب وغيرها لا يكون إلا عن طريق الوحي المنزل، قرآنا وسنة؛ والتزام الدليل الشرعي هو منهج الذين أنعم الله عليهم بالإيمان الصحيح قال تعالى: (ومِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وبِهِ يَعْدِلُونَ).

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم أعظم من غيرهم انتفاعا بالدليل والوحي، وتسليما له، لأسباب عديدة، منها:

أ - نزاهة قلوبهم، وخلوها من كل ميل أو هوى غير ما جاءت به النصوص، واستعدادها التام لقبول ما جاء عن الله ورسوله والإذعان والانقياد له انقيادا مطلقا، من دون حرج ولا تردد، ولا إحجام.

ب - معاصرتهم لوقت التشريع ونزول الوحي، ومصاحبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم، ولذلك كانوا أعلم الناس بملابسات الأحوال التي نزلت النصوص فيها، والعلم بملابسات الواقعة أو النص من أعظم أسباب فقهه وفهمه وإدراك مغزاه.

ج - وكانت النصوص - قرآناً وسنة - تأتي في كثير من الأحيان لأسباب تتعلق بهم - بصورة فردية، أو جماعية - فتخاطبهم خطاباً مباشراً، وتؤثر فيهم أعظم التأثير؛ لأنها تعالج أحداثا واقعية، وتعقب في حينها، حيث تكون النفوس مشحونة بأسباب التأثر متهيئة لتلقي الأمر والاستجابة له.

فكانوا إذا سمعوا أحدا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارهم، كما يقول ابن عباس ().

2 - التأثر الوجداني العميق بالوحي والإيمان:

كان الصحابة يتعاملون مع العلم الصحيح ليس كحقائق علمية مجردة يتعامل معها العقل فحسب، دون أن يكون لها علاقة بالقلب والجوارح، فقد أورثهم العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله: محبته والتأله إليه، والشوق إلى لقائه، والتمتع بالنظر إلى وجهه الكريم في جنة عدن، وأورثهم تعظيمه، والخوف منه، والحذر من بأسه وعقابه، وبطشه ونقمته وأورثهم رجاء ما عنده، والطمع في جنته ورضوانه، وحسن الظن به، فاكتملت لديهم بذلك آثار العلم بالله والإيمان به، وهذه المعاني الوجدانية هي المقصود الأعظم في تحصيل العلم، وإذا فقدت، فلا ينفع مع فقدها علم، بل هو ضرر في العاجل والآجل.

وكان الصحابة فرسانا بالنهار، ورهبانا بالليل، لا يمنعهم علمهم وإيمانهم وخشوعهم لله من القيام بشؤونهم الدنيوية، من بيع، وشراء، وحرث، ونكاح، وقيام على الأهل والأولاد وغيرهم فيما يحتاجون.

العلم أثبت وجود فاصل بين الجزء العلوي وأعماق البحر

موج من فوقه موج.. «لا يمكن أن يكون علما بشريا»

هذه حقيقة تم الوصول اليها بعد اقامة مئات من المحطات البحرية.. والتقاط الصور بالأقمار الصناعة.. والذي قال هذا الكلام هو البروفسور شرايدر.. وهو من أكبر علماء البحار بالمانيا الغربية.. كان يقول : اذا تقدم العلم فلابد أن يتراجع الدين.

لكنه عندما سمع معاني آيات القرآن بهت وقال: ان هذا لا يمكن أن يكون كلام بشر.. وباتي البروفسور دورجاروا أستاذ علم جيولوجيا البحار ليعطينا ما وصل اليه العلم في قوله تعالى: «أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ» سورة النور: 40.. فيقول لقد كان الانسان في الماضي لا يستطيع أن يغوص من دون استخدام الآلات أكثر من عشرين مترا.. ولكننا نغوص الآن في أعماق البحار بواسطة المعدات الحديثة فنجد ظلاما شديدا على عمق مئتي متر.. الآية الكريمة تقول : «بَحْرٍ لُجِّيٍّ» كما.. اعطتنا اكتشافات أعماق البحار صورة لمعنى قوله تعالى: «ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ» فالمعروف أن ألوان الطيف سبعة.. منها الأحمر والأصفر والأزرق والأخضر والبرتقالي الى آخره.. فاذا غصنا في أعماق البحر تختفي هذه الألوان واحدا بعد الآخر.. واختفاء كل لون يعطي ظلمة.. فالأحمر يختفي أولا ثم البرتقالي ثم الأصفر.. وآخر الألوان اختفاء هو اللون الأزرق على عمق مئتي متر.. كل لون يختفي يعطي جزءا من الظلمة حتى تصل الى الظلمة الكاملة.. أما قوله تعالى: «مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ» فقد ثبت علميا أن هناك فاصلا بين الجزء العميق من البحر والجزء العلوي.. وأن هذا الفاصل ملئ بالأمواج فكأن هناك أمواجا على حافة الجزء العميق المظلم من البحر وهذه لا تراها وهناك أمواج على سطح البحر وهذه تراها.. فكأنها موج من فوقه موج.. وهذه حقيقة علمية مؤكدة ولذلك قال البروفسور دورجاروا عن هذه الآيات القرآنية: أن هذا لا يمكن أن يكون علما بشريا.

طائر الطنان يتفوق على الصواريخ ومراكب الفضاء

أسرع طائر في الطبيعة قياساً على حجمه، يتفوق على الصواريخ ومراكب الفضاء، لنتأمل هذه الآية ونتفكر فيها.

طائر «الطنان».. عجيبة من عجائب الطيور فقد اكتشف العلماء أن حركة الانقضاض المفاجئ التي يقوم بها طائر الطنان لجذب انتباه أنثاه تعد أسرع مناورة جوية لحيوان في العالم الطبيعي اذا ما قورنت بحجمه! بل انها تفوق في سرعتها الطائرة النفاثة المقاتلة ومكوك الفضاء لحظة دخوله الغلاف الجوي للأرض من رحلة في الفضاء!

ويعيش هذا الطائر في جنوب غربي أميركا وقد اشتهر بقفزته الانقضاضية غير آبه بالموت قبل أن يصعد بحركة دوران مفاجئة الى أعلى مادا جناحيه وريش ذيله للحيلولة دون ارتطامه بالأرض كل ذلك يفعله تودداً الى محبوبته.

وبعملية حسابية قدر العلماء أن سرعة هذا الطائر الولهان التي تصل الى 80 كيلو مترا في الساعة عند أسرع لحظات هبوطه تفوق طول جسمه 383 مرة في كل ثانية، أما شدة الجاذبية لحظة دورانه المفاجئ بعد الانقضاض فهي تفوق قوة الجاذبية تسع مرات تقريبا، وهي توازي أقصى ما يتعرض له طيارو المقاتلات النفاثة من قوة جاذبية.

غير أن الباحث كريستوفر كلارك من جامعة كاليفورنيا يرى أن شدة الجاذبية الناجمة عن دوران الطائر الطنان الى أعلى بعد الانقضاض تجعل العديد من طياري المقاتلات النفاثة يفقدون الوعي جراء اندفاع الدم من خارج الدماغ. ويقول ان ذكور طيور «انا» الطنانة عند قيامها بحركات الانقضاض تصل سرعتها الى معدلات تفوق أعلى سرعات بقية الفقاريات وهي تحلق في الجو.

وسبحان الله! من الذي يعطي كل هذه القوة لمثل هذا الطائر حتى يتحمل هذه الضغوط العنيفة ولا يختل أو يسقط؟ ومن الذي يمسكه في الجو وهو يندفع بهذه السرعة الهائلة؟ انه الله تعالى القائل: «أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (النحل: 79).. بالفعل انها آية ينبغي أن تتفكر فيها عسى أن نزداد ايمانا بهذا الخالق العظيم.